# ***المحاضرة رقم:06 في النّقد الأسلوبيّ***

## ***محدّدات الأسلوب***

## ***01/الاختيار:***

****تمهيد:***

أصبح تعريف الأسلوب على أنّه اختيار من التّعريفات الشّائعة في الدّراسات الأسلوبيّة[1]، وهو فعل يتعلّق بالمبدع لا بالقارئ، ويحمل إشكالا إلى حدّ ما؛ إذ يطرح في المقام الأوّل السّؤال التّالي: لماذا يختار المبدع هذه الكلمة، أو هذا التّركيب، أو هذه الصّيغة تحديدا دون غيرها؟

**** 1/ موقف الدّارسين القدامى من الاختيار:***

اهتمّ النّقد العربيّ القديم منذ بدايته بالعلاقة بين الأسلوب والاختيار وتمثّل ذلك في مقولة مشهورة ألا وهي: "لكلّ مقام مقال"، وهذا يعني أنّ موقف المبدع من قضيّة ما، هو الّذي يحدّد اختياره للأسلوب الّذي يراه مناسبا، فأسلوبه مثلا يتغيّر بتغيّر الجماعة الّتي يخاطبها.

ومن الأمثلة الكثيرة الّتي وردت في كتب التّراث عن سوء اختيار الأسلوب في مخاطبة الآخر نذكر قول "جرير" مخاطبا "عبد الملك بن مروان" بقوله:

أتصحو أم فؤادك غير صاح*****عشيّة همّ صحبك بالرّواح.

فردّ "عبد الملك بن مروان": ذاك فؤادك أنت[2]. هذا المثال يشير إلى أهميّة اختيار الشّاعر لألفاظه وعباراته بدّقة وعناية، لأنّ هذا الأمر متعلّق أساسا بقبول المخاطب، فالموقف موّجه لعمليّة الاختيار. وعمليّة الاختيار تتمثّل بتلّقي النّص، فالقارئ يتلقّي النّص من خلال خبرته الشّخصية ومكانته الاجتماعية، وهذا ما يمنح النصّ قراءة إبداعيّة متميّزة[3].

---

[1] عبد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبي في النّقد الأدبي، (دط)، (دت)، ص36.

[2] الجاحظ: كتاب التّاج في أخلاق الملوك، (دط)، (دت)، ص42،43.To pdf :htt.p://www.al-mostafa.com

[3] فاضل ثامر: اللّغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربيّ الحديث، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ط01، 1994، ص47.

ومهما يكن، فإنّ النّقد القديم قد أشار إلى الرّبط بين الأسلوب وطبع صاحبه وشخصيّته، فقد أشار إلى ذلك "ابن قتيبة" عندما قال: "والشّعراء في الطّبع مختلفون، منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسّر له المراثي ويتعذّر عليه الغزل"[1].

وممّا ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام تدخّل بعض النّقاد في اختيارات الشّاعر، ومن ذلك قول "حسّان بن ثابت الأنصاري": لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى***وأسيافنا يقطرن من نجدة دما.

ولدنا بني العنقاء وابني محرق*****فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما.

فقال له "النّابغة": أنت شاعر ولكّنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك[2].

***02/الاختيار في الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة:***

شاع في الدّراسات الأسلوبيّة أنّ نظام اللّغة يقدّم للمبدع إمكانات لغويّة متنوّعة له أن يختار منها ما يشاء للتّعبير عن حالة واحدة أو موقف معيّن، وهذا يعني أنّ للمبدع كامل الحريّة في اختيار ما يريد مادام ما يختاره يخدم رؤيته وموقفه، ولذلك عمل الأسلوبيّون على تحديد خمسة مستويات لعمليّة الاختيار.

***03/ مستويات الاختيار الأسلوبيّ:***

***01/اختيار الغرض من الحديث:** وفيه يريد المتكلّم –بناء على أسس محدّدة–الوصول إلى الغرض من الكلام أو الحديث، مثل: الإبلاغ، الدّعوة، الإقناع، اكتساب معلومات معيّنة، ويمكن أن يكون الهدف من النّصوص الأدبيّة أغراضا جماليّة.

***02/ اختيار موضوع للحديث:** وفيه يختار المتكلّم الموضوعات غير اللّغوية أو الأشياء الّتي يريد الحديث عنها، وبناء على ذلك تتحدّد إمكانات الاختيار الّتي لها قيمة معيّنة، فلو أراد الإخبار عن حصان مثلا، فيمكنه أن يختار: حصان، جواد، فرس،...إلخ. ولكن لا يمكنه اختيار بقرة مثلا.

***03/ اختيار الرّمز اللّغوي:** يختار المتكلّم إذا كان يعرف عدّة لغات، لغة معيّنة أو لهجة ما، وهذا الاختيار هام جدّا في النّصوص الأدبيّة، حيث تحدث إضافات بلغات أو بلهجات أجنبيّة.

---

[1] ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، مصر، ج01، (دط)، 1982، ص93، 94.
[2] المرزباني: الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المطبعة السّلفية ومكتباتها، القاهرة، مصر، ط02، 1996، ص55.

***04/ الاختيار النّحوي:** ويختار المتكلّم التّراكيب النّحوية الّتي تكون قواعد صياغتها إجباريّة مثلا: جملة استفهاميّة وجملة خبريّة.

***05/ الاختيار الأسلوبيّ:** ويعثر المتكلّم على الاختيار الأسلوبيّ من بين الإمكانات الاختياريّة المتساويّة دلاليا[1].

ورغم اجتهاد الدّارسين لوضع هذه التّحديدات الّتي تبرز مستويات الأسلوب، إلاّ أنّ هناك إشكاليّة تظلّ تواجه تعريف الأسلوب من كونه اختيارا، والمشكلة الأولى تتمثّل في: هل المبدع يكون حرّا فيما يختار غير مقيّد بضوابط، أو قواعد يحتكم إليها؟ أمّا المشكلة الثّانية فتتمثّل في هل يكون كلّ اختيار يقوم به المبدع أسلوبا؟ وعلى هذا الأساس برزت ضرورة أساسيّة للتّمييز بين نوعين مختلفين من الاختيار:

1/ اختيار محكوم بالموقف أو بالمقام (Context of selection)، 2/ اختيار تتحكّم فيه مقتضيات التّعبير الخالصة، والنّوع الأوّل اختيار نفعيّ ( Pragmatic selection)، ربّما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى، لأنّها أكثر مطابقة –في رأيه– للحقيقة، أو لأنّه على عكس ذلك يريد أن يضلّل سامعه، أو يتفادى الاصطدام بحساسيّته تّجاه عبارة أو كلمة معيّنة[2].

ما يعرف بالاختيار النّفعيّ قضيّة قريبة فيما شاع في النّقد العربيّ القديم بموافقة الكلام لمقتضى الحال، على المبدع أن يكون واعيا لمكانة المخاطب، حتّى يكون مقنعا ومؤثّرا فيما يقول، وهذه القضيّة ربطت اختيار الأسلوب بالموقف الّذي يتقنه المبدع أو المتكلّم.

أمّا قضيّة الاختيار النّحوي فهي قضيّة ترتبط ارتباطا وثيقا بالإمكانات النّحوية وقواعد اللّغة بمفهومها الشّامل: الصّوتية، والصّرفية، والدّلالة، ونظم الجملة، ويكون هذا الأمر حين يفضّل المبدع أسلوبا على أسلوب، فتارة يستخدم التّأخير وتارة التّقديم؛ فيؤخّر ما حقّه التّقديم ما دام يرى أنّ هذا الأسلوب أكثر تحقيقا للفائدة الّتي يتوخّاها من عمله الأدبيّ، وهو عمل يريد من المبدع أن يكون مؤثّرا وفاعلا لينقل الشّحن العاطفيّة للغة النّص إلى المتلّقي أيضا.

---

[1] برند شبلنر: تر: محمود جاد الرّب، علم اللّغة والدّراسات الأدبيّة (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللّغة النّصي)، الدّار الفنيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 1987، ص83-85.

[2] سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص38.

والملاحظ أنّ كلا الاختيارين متداخلين؛ إذ لا يمكن عزل البناء النّحوي عن البناء النّفعيّ لأنّهما متلازمان[1].

***خاتمة:***

ومهما يكن فإنّ تحديد الأسلوب على أنّه اختيار، محور أساسيّ من محاور الدّراسات الأسلوبيّة الّتي قدّمت الأسلوب على أنّه متّصل بوعي المبدع وبذاتيّته الّتي تميّزه عن الذّوات الأخرى، فتفاوت الأسلوب ربّما يكون قائما على طبيعة الاختيار الّذي يعدّ عنصرا أساسيا من عناصر عمليّة الإبلاغ

[1] عبد الحفيظ حسن: المنهج الأسلوبيّ في النّقد الأدبيّ، دط، دت، ص66.